رسالة الأديب العربي في مكافحة الصهيونية

بقلم خيري حماد

الاديب صفة مطلقة ، تطلق على كل من يمارس حرفة الادب ، سواء أكان شاعرا أم كاتبا ، ناقدا أم شارحا ومفسرا . ولكن هاوي الادب ، لا يصبح أديبا ، ويرتفع عن منزلة المتأدب ، الا اذا كان منتجا ، وكان انتاجه الادبي ، يحمل بالاضافة الى ما يحمله من خير ونفع ، للمجتمع الذي يعيش فيه ، تفتحا قوميا وانسانيا ينقله من الحيز الاقليمي الضيق ، الى المجال القومي الواسع الآفاق ، ومنه الى المدى العالمي ، الفسيح الرحاب ، والشاسع الارجاء .

ولكن مهما سمت مكانة الاديب ، على المستوى العالمي ، ومهما حمل انتاجه الطابع الانساني الغزير الشمول ، فانه يظل مقيدا بواقع المجتمع الذي يعيش فيه ، وواقع ما يحمله هذا المجتمع من تطلعات نحو الحياة الفضلى . والا فصم نفسه عن مجتمعه ، وناه في بحور الانسانية المترامية الاطراف ، لا يعرف له مسلكا صحيحا فيها ، وان خيل اليه أنه يؤدي رسالة انسانية تتسم بالخير . فالاديب الذي يفصم نفسه عن مجتمعه ، يغدو كالمنبت لا أرضا قطع ، ولا ظهرا ابقى ، تتقاذفه الامواج ، وهو في حيرة من امره ، لا يعرف له مستقرا ، ويضيع وسط لججها المتلاطمة ، فينكر ذاته ، قبل أن ينكر المجتمع الذي ينتمي اليه .

ومن هنا يظل لزاما على الاديب ، أن يبقى وثيق الصلة بمجتمعه ، مهما علت مكانته الانسانية ، وأن يعمل لخير هذا المجتمع ، وتحقيق تطلعاته وأهدافه . ومن هنا أيضا تصبح صفة المثقف الذي يشد نفسه الى جذوره في مجتمعه ، لازمة للاديب ، كما تتضح رسالته الحقة في الحياة التي يعيشها ، وفي المجتمع الذي ينتمي اليه ، وفي الكون الذي يؤلف واحدا من أفراده .

والاديب المثقف ، انسان ثوري بطبيعة تكوينه ، بل وبطبيعة تسميته . فهو لا يعتبر مثقفا الا اذا عاش مع مجتمعه ، يحس بآلامه ، ويعكس تطلعاته . ومن هنا ، فهو ينسجم مع هذا المجتمع اذا كان ثوريا . ويبذل قصارى جهده لدوام ثوريته ، وتغيير الواقع الذي يحياه في الطريق الامثل . وهو يتمرد عليه ، اذا كان المجتمع تقليديا متخلفا ، تقيده أغلال الظلم والطغيان ، وتكبله أصفاد الجهل والمرض والتمييز الاجتماعي والاقتصادي . ويتجسد تمرده هذا في الدعوة الى الثورة ، التي لا تعني مجرد الانقلاب ، وانما تعني أول ما تعني ، تغيير صور الحياة من جذورها ، في مختلف المجالات السياسية والاقتصادية والاجتماعية . ويكون هدفه الاول من نضاله ، تحقيق الحرية للوطن ، وتأمين الحرية للمواطن ، أي تحقيق الحرية السياسية والاجتماعية ، لانهما تؤلفان جناحي الحرية الحقيقية في الواقع ، وفي نظر الاديب المثقف .

***

ومن هنا يكون الالتزام بالنسبة الى الاديب ، ويكون التمرد من الناحية الاخرى . فهو ملتزم مع مجتمعه الذي يعيش فيه ، اذا كان هذا المجتمع ثوريا ، وان كان التزامه هذا لا يحول بينه وبين الانطلاق الفكري التقدمي ، جريا وراء تحقيق ما يعتقد انه منسجم كل الانسجام مع المبادىء العامة للثورة التي يؤمن بها ، والعقيدة المذهبية التي تتبناها . وهو من الناحية الاخرى ، متمرد على هذا المجتمع ، اذا كان يراه تقليديا متخلفا ، يسعى لتغييره ، لا بالدعوات الاصلاحية الباهتة الخافتة ، التي كثيرا ما نسمع بعض الادباء يتشدقون بها عن ماضيهم ، بل بالفكر الثوري الجاد والهادف الى بناء المجتمع الافضل عن طريق الثورة .

***

وكان لا بد من سوق هذا الاستهلال للبحث الذي اشرف بتقديمه الى هذا المؤتمر ، لابين ، ان الواجب القومي والوطني . كان يفرض دائما على الادباء العرب بوجه عام ، وعلى ادباء فلسطين بوجه خاص ، ان يلتزموا بمكافحة الصهيونية الباغية ، التي تحالفت مع الاستعمار العالمي الذي الفت هي جزءا لا يتجزأ منه ، والتي تآمرت مع الامبريالية ، على اقتطاع جزء غال من الوطن العربي ، بعد تشريد اهله منه ، واقامة حكم معه ، يستند الى أبشع قواعد التمييز العنصري ، والفاشية البغيضة ، والاستيطان الاستعماري العاتي والجائر ، والعدوان الدائم والمستمر . واذا كان قد جاز للادباء ان يتقاعسوا في الماضي عن التفاعل مع هذا الواقع ، وعكسه في صور فنية تنطوي على الكمال ، وعلى اعمق المشاعر الانسانية ، فان هذا التقاعس لم يعد جائزا ولا ممكنا بعد النكبات المتوالية التي حلت بامتنا العربية ، والتي كانت نكسة الخامس من يونيو اخر صورة منها وقد لا تكون الاخيرة ، اذا ظللنا على تخاذلنا ، وتقاعسنا ، وعجزنا عن مواكبة التقدم التقني ، والتأهب الكامل ، لمجابهة اعدائنا مع ما يتميزون به من قوة وبطش . واذا جاز لبعض أدبائنا ، في الماضي ، أن يجروا وراء الرومانسية المطلقة ، ليكتسبوا المكانة على الصعيد الانساني ، وان ينساقوا وراء الاوهام والخيالات ، فلم يعد من الجائز لهم ، ونحن على ما نحن عليه ، من اجترار لآلام النكسة ، ان ينصرفوا عن الواقع الذي تحياه امتهم ، وتعيشه مجتمعاتهم ، وان لا يتفاعلوا مع هذا الواقع ، ليرسموه في صور فنية تحمل طابع الكمال ، وتضمن لهم البلوغ الانساني الذي يتوقون اليه .

فالامة العربية كلها في معركة طاحنة مع الصهيونية ، ومع الاستعمار العالمي الذي يقف من ورائها ، يشد ازرها . ويناصرها ، ويمدها بكل مقومات الحياة ، وعوامل البقاء . والوطن الفلسطيني الذي باتت جميع دياره داخل الارض المحتلة ، يعاني الام الظلم والطغيان ، والعنت والاحتلال ، والعنصرية المقيتة والاستعلاء المتعجرف . وهو في حاجة الى معركة تحررية شاملة ، بدأت استهلالاتها بالمقاومة الباسلة ، التي تبديها الطلائع من ابناء فلسطين وابطالها في نضالهم ضد السيطرة الاسرائيلية . ولا بد من وجود الالتزام في الفكر ، ابان خوض هذه المعركة الضارية ، لان مثل هذا الالتزام ، شرط أساسي ، ولا غنى عنه ، لكسب هذه المعركة ، اذ انه يشبه الانضباط لدى القوات العاملة في الميدان ، والذي بدونه يستحيل على هذه القوات ان تكسب او تحقق النصر . يضاف الى هذا أن النضال الفكري يعتبر عنصرا مكملا ، للنضال العسكري ، سواء على صعيد التخطيط ، او التنظيم ، أو في مجالات الاعلام والدعوة للقضية الحقة العادلة .

***

ولا يعني هذا الالتزام مطلقا ، وأدا للحرية الفكرية ، كما يحاول البعض أن يزعم ، أذ ان الحرية المطلقة ، تعني الفوضى ، وتعني النفسخ ، وتعني الهزيمة في المعركة المصيرية والوجودية التي يخوضها الشعب العربي بأسره بوجه عام ، ويخوضها شعب فلسطين داخل وطنه المستباح بوجه خاص . وقد لا يكون ادل على وجود الحرية ورسوخ اقدامها ، من

تبني الكتاب انفسهم ، وهم طلائع الحرية ، في كل زمان ومكان ، لمفاهيم المعركة التحررية ، والتزامهم بها ، والعمل في جد ومثابرة ، واصرار ، على تعميق الوعي الجماهيري بها .

***

ولا شك في ان السنوات الاخيرة ، شهدت تحولا ضخما ، وظواهر جديدة في الادب الفلسطيني ، وهي تتلخص في الانصراف عن الندب والعويل ، والبكاء على الديار والاطلال ، والاتجاه الى شحذ الهمم ، وعقد النوايا والعزائم ، على خوضها معركة لاهبة ضارية ، لتحرير الوطن السليب من ايدي غاصبيه ، واستعادة الحقوق الضائعة من ناهبيها . وبات الفكر الفلسطيني يتجه ، والى ان تنتهي معركة التحرير ، ويعود الوطن الى اهله وذويه ، ملتزما بالمفاهيم الاساسية لقضية فلسطين ، وهي المفاهيم التي تمثل الالهام الذي يستمد منه الكتاب مادتهم ، والشعراء وحيهم وتوجيههم .

وهنا يحتل الكفاح المسلح بهدف التحرير ، المكانة الاولى والمتقدمة على هذه المفاهيم التي يتحتم على الاديب الالتزام بها كلها . فلا يختلف اثنان من ابناء شعبنا العربي في فلسطين ، في ان تحرير الوطن السليب هو الهدف الشامل والمكمل لهدف ازالة آثار العدوان ، وذلك لان هذه الاثار وان زالت مؤقتا بطريقة او بأخرى ، لا تعني انها قد لا تتكرر ، طالما ان الوجود العدواني الذي تمثله اسرائيل بكيانها ، قائم في قلب الوطن العربي . ومن هنا كان لا بد من تصفية هذا الوجود نفسه عن طريق التحرير ، الذي يعني اول ما يعني ، استعادة الارض والحق والكرامة ، بالاضافة الى ما يعنيه من انزال ضربة جديدة بالاستعمار الذي تخوض معه الشعوب معاركها المتلاحقة ، جريا وراء الحرية .

وليس ثمة من خلاف ايضا بين ابناء شعبنا في فلسطين ، على وسيلة تحقيق هذا الهدف . فكلمتهم مجمعة ، على ان الكفاح المسلح ، هو طريق التحرير .

بعد ان اعيتهم السبل والوسائل السلمية ، طيلة العشرين عاما الماضية ، كانوا ابانها يطرقون ابواب المجالات الدولية ، وفي مقدمتها باب الامم المتحدة ، فلا يجدون وراءها اذانا تصغي الى حقهم المشروع وقضيتهم العادلة . ولم يكن شعب فلسطين ، ليستغرب هذا التنكر لحقه في تقرير مصيره ، وهو من ابسط الحقوق الانسانية ، ولا يتساءل عن اسبابه . فلقد كانت المجالات الدولية ، وبينها الامم المتحدة بالذات، ولا تزال ، المسرح الذي تمارس فيه دول الاستعمار وعلى رأسها الولايات المتحدة الاميركية سلطانها ، وتفرض هيمنتها واردتها. وكانت هذه الدول نفسها ، ومعها الامم المتحدة ، المسؤولة الاولى والاخيرة عن خلق اسرائيل ، في قلب الوطن العربي ، لتحقق عن طريقه اهدافها ، في وجعل أرضه مستقراً لقواعدها ومصالحها، بالاضافة الى هدفها الاخر ، وجعل ارضها مستقرا لقواعدها ومصالحها ، بالاضافة الى هدفها الاخر ، في ان تجعل من اسرائيل ، القاعدة التي تتسلل منها دول الاستعمار الجديد الى الدول الحديثة النامية في افريقية واسيا .

***

واذا كانت هناك تباينات في الرأي ، فانها لا تتناول الهدف ولا الوسيلة ، وانما تتناول المراحل والصور التي تتبلور فيها هذه الوسيلة وتحقق وجودها .

***

فهناك من يقولون بان قضية فلسطين ، هي قضية شعبها ، لان فلسطين لابنائها ، ويجب ان يكون الفلسطينيون لفلسطين . ويمضي دعاة هذا الرأي فيقولون ان كفاح الشعب الفلسطيني هو سبيل التحرير ، وان هذا الكفاح يجب ان يلقى المساندة والدعم من جميع الشعوب العربية ، بل ومن كافة الشعوب المحبة للحرية في العالم .

ومن هنا تبرز الضرورة في تكتيلهم في هيئة او كيان ، تتاح له كل مقومات البقاء والصمود ، ويمارس فيه شعبها قدراته وطاقاته ، وهي قدرات خلاقة لم تستطع اثار النكبة التي استمرت عشرين عاما ، اضعافها او القضاء عليها .

وهناك فريق آخر يقول افراده ، ان مسؤولية النضال من اجل فلسطين ، ليست مسؤولية شعبها وحده ، وانما هي مسؤولية الامة العربية كلها ، وان الوحدة العربية ، هي والحالة هذه طريق التحرير ، على ان تبدأ وبصورة مرحلية ، بوحدة طوق ، تضم البلاد المحيطة باسرائيل ، وتجعل منها قوة واحدة ، قادرة بطاقاتها السياسية والعسكرية والاقتصادية على تصفية الوجود العدواني الذي تمثله اسرائيل .

***

وانا لا انكر أن لكل من الرأيين وجاهته وموضوعيته بل ومبرراته ، الصحيحة والاصيلة . ولكنني أرى ان الافراط في الرأي الاول ، والغلو في الرأي الثاني ، لا يمثلان بالحتمية والضرورة ، الوسيلة المرحلية ، لمواجهة المشكلة ، بكل ما فيها من عقد وملابسات ، وانما تمثل الوسيلة في فكر يجمع بين النظريتين ، وفي تطبيق ينبعث من هذا الجمع ، وممارسة للنضال في صور مرحلية متعاقبة ، تؤلف جزءا لا يتجزأ من المعركة الطويلة والمريرة مع الاستعمار والصهيونية .

وهنا تبرز مجموعة من الحقائق التي لا بد للاديب الملتزم من ان يراها لاتصالها الوثيق بالوسيلة المؤدية الى هدف التحرير .

***

تقول اولى هذه الحقائق ، ان معركة فلسطين ، ليست مع الصهيونية وحدها ، ولا مع اسرائيل التي تجسدها ، وانما هي تصور الحقيقة والواقع ، وهو التصور الذي يجب ان ينعكس في ادبنا في المرحلة الراهنة ، كجزء من رسالة الاديب في مكافحة الصهيونية ، مع الاستعمار ، الذي خلق اسرائيل ، واقامها في قلب الوطن العربي ، لتحقق له اهدافه ومخططاته ، وتحمي مصالحه ، ولتمثل القاعدة العسكرية له في المنطقة . ولما كانت طاقات الصهيونية والاستعمار ، تفوق طاقات الشعب الفلسطيني ، مهما حبي به من دعم واسناد ، فان المسؤولية والحالة هذه تقع في المعركة الطويلة والمريرة على الامة العربية . ومن هنا يبرز البعد القومي للمشكلة الفلسطينية ، ويبرز الدور التكتيكي المرحلي والدور الاستراتيجي البعيد المدى للمقاومة العربية في فلسطين ، فهو يستهدف من الناحية الاولى ، اشغال العدو واضعافه ، وخلق اوضاع مستمرة من التوتر والجهود البالغة التي تتجاوز حدود طاقاته ، على مختلف المستويات ، الى ان تتوافر القوة العربية القادرة على فرض الحل العسكري ، لا لمشكلة ازالة آثار العدوان فحسب ، بل ولمشكلة تصفية الوجود العدواني كله ايضا . وهو يهدف من الناحية الثانية الى تجسيد ارادة الشعب الفلسطيني وتصميمه على مواصلة النضال حتى يتحرر وطنه ، مهما غلت التضحيات، وتنوعت صور الفداء والاستشهاد .

***

وتقول الحقيقة الثانية ان اسرائيل بوجودها العدواني في قلب الوطن العربي ، لا تمثل خطراً على شعب فلسطين وحده ، وانما تمثل الخطر كل الخطر في اهدافها التوسعية على الوجود العربي كله. ولقد ظهرت نذر هذا الخطر ، في العدوان الاخير ، اذ احتلت اسرائيل اراضي تقع ضمن الحدود الدولية لدول عربية اخرى . ومن هنا تتأكد مسؤولية الامة العربية كلها عن المعركة . أذ أن هذا الخطر لا بد وان يداهم الدول العربية الاخرى ، اذا سمح له بالاستشراء والامتداد .

***

وتقول الحقيقة الثالثة ، ان الوحدة العربية في مضمونها الثوري التقدمي ، ولا سيما للبلاد المحيطة باسرائيل ، هي الضرورة الحتمية للاسراع في تحقيق التحرير ، بالاضافة الى ضرورتها الحتمية في تحقيق الوجود القومي ، لا سيما وان التجارب الماضية سواء في عام ١٩٤٨ ، او في عام ١٩٦٧ ، علمتنا ان اسرائيل قد افادت من التجزئة العربية، في تحقيق مكاسبها في الحربين . لكن ضراوة المعركة ، وطولها ،وحتمية استمرارها ، كلها عوامل ، تفرض علينا ان نقيم وسائلنا على مراحل ، تكون الوحدة ختامها ، وبالتالي ، العامل الحاسم ، لا في الوصول الى

هدف التحرير الكامل فحسب ، بل والى تصفية الوجود العدواني الامبريالي كله ايضا .

***

وتقول الحقيقة الرابعة ، ان شعب فلسطين ، بوصفه جزءا لا يتجزأ من الامة العربية ، يتحمل المسؤولية الفورية والمباشرة في عملية التحرير ، كما يتحمل مسؤوليته في تحقيق الوحدة ايضا . وهو بالاضافة الى ذلك كله ، صاحب الارض التي اغتصبت ، والحقوق التي سلبت . ويقضي عليه واجبه الوطني اولا ، وواجبه القومي ثانيا ، ان يمثل طليعة الفداء والتضحية ، في تحرير ارضه ووطنه ، واستعادة حقوقه .

***

وتقول الحقيقة الخامسة ، انه لما كانت الوحدة العربية في مضمونها الثوري التقدمي ، لم تتحقق بعد ، وكان الابطاء في تحقيقها ، يعني ان مسؤولية القضية الفلسطينية يجب ان تظل محصورة في شعب فلسطين ، مدعوما بالقوى الثورية العربية ، مخافة تعرضها للضياع والمساومات ، لا سيما وان التجارب التي مر بها هذا الشعب، في عامي ١٩٤٨ و ١٩٦٧ ، تفرض عليه ان لا يعود الى ايكال امرها الى غيره ، بعد ان ضاع في السنة الاولى جزء من وطنه ، ثم ضاع الباقي في التاريخ الثاني . فان دور شعب فلسطين يجب ان يكون دور المسؤول الاول عن قضيته ، ولو بصورة مرحلية ، لا يقبل فيه وصاية ، او ارادات تملى عليه . لكن هذا لا ينفي على الاطلاق ان تظل القضية مرتبطة ارتباطا وجوديا ومصيريا بمستقبل الثورة العربية ووجودها ، لان بعدها الفلسطيني مرتبط مثل هذا الارتباط الوجودي والمصيري ، ببعدها القومي الحتمي .

***

وتقول الحقيقة السادسة ، ان المقاومة الفلسطينية ، المتمثلة في العمل الفدائي ، كمرحلة اولى ، لا بد وان تتحول الى حرب تحريرية شاملة وكاملة في المنطقة المحتلة كلها . وهي تمثل تبعا لذلك ، عاملا ايجابيا فعالا ، لا في معركة ازالة اثار العدوان التي يرفع شعارها في هذه الايام فحسب ، بل وفي معركة تصفية الوجود العدواني الذي تمثله اسرائيل ايضا ، اذ ان اسرائيل ، تمثل بوجودها كتجسيد للمذهبية الصهيونية ، العنصرية والعدوانية والفاشية ، عدوانا دائما ومستمرا ومتجددا في الوطن العربي . ويتطلب نجاح هذا العمل الايجابي ، اول ما يتطلب ، وحدة القوى الثورية الفلسطينية ، في ميدان العمل الفدائي ، على ارض منظمة التحرير بعد تحويلها الى منظمة ثورية حقة ، بوصفها المجسدة لكيان الشعب الفلسطيني ، كما يتطلب تنسيق مخططاته ، وجعلها جزءا لا يتجزأ من الخطة الثورية العربية لتصفية الوجود العدواني كله ، بعد بروز هذه الخطة وظهورها الى حيز الواقع .

***

وتقول الحقيقة السابعة والاخيرة، ان على الثورة العربية في فلسطين ، وهي تمثل الانطلاقة ، لتحقيق الوحدة الثورية في المناطق المحتلة ، باسرائيل على الاقل ، ان تلتزم التزاما كاملا ، بازالة اسرائيل، لا ازالة من فيها من الناس ، وان تكون هذه الازالة لها كيانا وواقعا ووجودا ، على اعتبار انها هي الهدف من معركة التحرير ، وهي وسيلة القضاء على القاعدة التي اقامها الاستعمار في قلب وطننا العربي . ولا شك في ان تحقيق مثل هذا الهدف ، قد يساعد على تحرير اليهود انفسهم من المذهبية الصهيونية العنصرية ، والفاشية والعدوانية ، وبالتالي الى انتفاء المسببات التي دعت وما زالت تدعو الى حشد يهود العالم في اسرائيل ، والى عودة الكثيرين منهم الى اوطانهم السابقة التي عملت الصهيونية على تهجيرهم منها ، وفصم روابطهم القومية بها ، نتيجة ابتكار القومية الاسرائيلية التي تتنافى مع حقيقة الوجود اليهودي نفسه ، كوجود يقوم على اساس الدين لا على اساس القومية .

ومن هنا كان لا بد ان تلتزم الثورة ، ويلتزم معها الادب الفلسطيني بوجه خاص ، والادب العربي بوجه عام ، برفض جميع المناورات التي تستهدف المساس بحقوق شعب فلسطين غير المجزأة ، وبشجب منطق التسويات ، والحلول التوفيقية التي يحاول البعض اخفاءها تحت ستار ما يسمى بالواقعية . ولا شك في ان هذه الحقيقة ، تؤدي الى انبثاق حقيقة اخرى ، وهي ان ما تحتاج اليه الثورة ، ليس دولة فلسطين ، وانما حرية العمل الفلسطيني ، تضمن انطلاق القدرات الفلسطينية ، في مجال النضال الثوري الهادف .

***

ولا بد في ضوء هذه الحقائق التي اوردتها من التزام الاديب ، بالدعوة الى قيام التنظيم الفلسطيني ، بدوره كاملا ، لا في اعداد شعب فلسطين لحرب التحرير او الثورة الشعبية العامة فحسب ، بل وفي تمكينه بفضل ما يملكه من طاقات وقدرات ، من اداء دور طليعة الفداء في معركة تحرير وطنه ، ومن خوض حرب التحرير الشاملة ، بعد تهيئة الظروف اللازمة لها تهيئة علمية دقيقة .

***

وهنا ايضا يبرز دور التزام الاديب العربي بالدعوة الى تمكين العمل الفلسطيني ، وبحتمية الثورية ، من الحرية في تخطيط نضاله ، ليكون هذا العمل قادرا على الحياة والاستمرار والتطور ، والتحرك الدائم في جميع الظروف المحلية والعربية والدولية . فالجماهير العربية تطالب بالمضي في اعمال المقاومة داخل الارض المحتلة وتصعيدها وتوسيعها ، لتكون هذه الاعمال ، الوسيلة لابقاء القضية حية على الصعيد الفلسطيني اولا ، والقومي العربي ثانيا ، والدولي ثالثا ، ولتمثل ارادة الشعب الفلسطيني المصممة على تحرير الوطن، وتجسد انطلاقة العمل الثوري المؤدي الى وحدة البلاد المحيطة باسرائيل،كمرحلة لا بد منها لاستكمال مراحل التحرير . وهنا يبرز دور الاديب العربي في التفاعل مع هذه الجماهير وعكس متطلباتها فيما يكتبه او يصدر عنه من انتاج فني ، لا بد وان يستكمل صورة الكمال الفني ايضا ، ليرقى الى مرتبة الادب الخلاق .

ولا شك في ان المقاومة المنظمة داخل الارض المحتلة ، والوحدة الصفوف ، هي القادرة عن طريق المواجهة الفعلية ، والاصطدام بالقضية، وممارسة التصدي العملي ، للتحديات القائمة ، على تحقيق نتائج فعلية في طريق التحرير ، ومنها انقاذ الشعب الفلسطيني من احتمالات اليأس ، ودفعه الى العمل الايجابي الفعال ، الذي يشده الى قضيته باواصر محكمة من التضحيات المادية والمعنوية ، ومن دماء الشهداء الزكية التي تروى بها الارض الطيبة المغتصبة .

***

ولعل في مقدمة هذه النتائج ، التي يحققها استمرار المقاومة ، اثارة قضية فلسطين في المجال الدولي ، بصورة تختلف عما كانت تظهر فيه ابان السنوات الماضية . فالمقاومة وحدها ، هي القادرة على تغيير الصورة ، وطرح القضية في اطارها الصحيح ، كقضية شعب يناضل لتحرير وطنه . ولست اشك في ان هذا الطرح ، قادر على ان يعكس نفسه على مسرح الامم المتحدة نفسها ، وعلى مواقف الدول والشعوب كلها من القضية . وهنا تبرز رسالة الاديب على الصعيد الانساني ، فهو قادر على ان ينقل بما يخطه خوالج الشعب الذي يناضل على ارضه المحتلة ، ويقدم في كل يوم ، قوافل الشهداء الابرار ، قربانا على مذبح الحرية ، وان يرقى بمستوى ما ينتجه من ادب خلاق الى المستوى الانساني ، الذي يترك اثاره الداوية في التاثير على المثقفين في العالم ، ودفعهم الى تأييد النضال التحرري الذي يخوضه هذا الشعب .

***

وتستطيع المقاومة ايضا ، ان تحقق حرمان اسرائيل من الفرصة التي اتيحت لها بعد عدوانها الاخير ، لتثبيت اقدامها في المناطق التي

احتلتها كنتيجة لهذا العدوان ، وللمضي في تنفيذ مخططاتها لاقامة اسرائيل الكبرى التي اكثر المسؤولون الاسرائيليون مؤخرا من الحديث عنها . ويتم هذا الحرمان عن طريق خلق حالة من التوتر والذعر ، تؤدي الى شل الحياة الاقتصادية ، داخل اسرائيل ، وتشجيع الهجرة المضادة منها ، ووقف الهجرة اليها ، وهي خطوات لا بد منها ، لتهيئة الجو الصالح لخوض معركة التحرير الكبرى ، التي تهدف الى ازالة الوجود العدواني من الارض العربية . وهنا ايضا يلعب الاديب دوره على الصعيد الانساني ، في رسم الصور الفنية الدقيقة لهذه النتائج، ونقلها الى الفكر العالمي ، لتمثل الحملة الاعلامية الصادقة والمضادة للدعاوة الصهيونية التي تهدف الى تشجيع يهود العالم على الهجرة الى فلسطين ، واستثمار اموالهم في دعم الكيان الاقتصادي لاسرائيل.

ولا بد لنجاح المقاومة التي تجتاز مراحلها الاولى الان ، لتتحول ، الى حرب تحرير شاملة وكاملة ، من وحدة القيادة ومركزيتها اولا ، ولامركزية الوحدات ثانيا ، ضمن اطار من الخطة الثورية العلمية المدروسة . فالاساس في نجاح المقاومة العربية ، هو تنظيمها في جبهة ثورية عربية واحدة ، قادرة على حرية الحركة ، وحرية المناورة، لتوجه الضربات القاصمة الى العدو باقل ما يمكن من التضحيات .

ومن هنا تبرز المسؤولية القومية في توحيد المنظمات التي تمارس المقاومة ببطولة نادرة ، ضمن اطار تنظيمي واحد ، وتبرز رسالة الاديب العربي عامة ، والفلسطيني خاصة ، في الدعوة الى هذا التوحيد .

***

ولا بد للثورة المسلحة ، من ان تكون مصحوبة بنضال سياسي واعلامي ، يترجم تحركاتها العسكرية الى قناعات جماهيرية حاسمة ، ويقطع الطريق على اتهام رجالها بانهم مجموعة من المتسللين او المخربين. ويتمثل هذا النضال في بذل الجهود على المستويات العربية والدولية، لابراز الصورة الحقيقية لهوية المقاومة الفلسطينية المتركزة داخل الارض المحتلة . ولا شك في ان المسؤولية الاولى في تحقيق هذا النضال والسير فيه تقع بالاضافة الى رجال التوجيه السياسي على عاتق الادباء الذين لا بد أن يتفاعلوا مع الثورة ، وان يجعلوا اقلامهم الحرة الوسيلة لبلورة هذا التفاعل في صورة عمل مجد وخلاق . فالاديب وهو كما قلت مثقف ثوري ، لا بد وان يلتزم بتطلعات الجماهير وان يعكسها ، وان يلتحم معها في تنظيم المقاومة قيادة وقاعدة .

***

وهنا لا بد من الانتقال الى المفاهيم الاخرى والاساسية في القضية الفلسطينية ، بعد ان تحدثت طويلا عن هذا المفهوم الاول المتعلق بالكفاح المسلح بهدف التحرير ، اذ انه يمثل في نظري ، اهم هذه المفاهيم واكثرها ضرورة ولا سيما في المرحلة الراهنة من مراحل معركتنا الطويلة والمريرة ، مع الصهيونية والاستعمار العالمي . فمثل هذه المفاهيم، تنير للجماهير ، اذا ما آمن بها الادباء، طريقها، وترشدها الى الاسلوب الذي تستطيع اتباعه ، لتحقيق تطلعاتها ، التي جاءت تعبيرات الادباء عنها ، الانعكاس الصحيح والملتزم لها .

***

ومن المفاهيم الاساسية التي يتحتم على الاديب الالتزام بها ، ان قضية فلسطين باتت جزءا لا يتجزأ من النضال العالمي ضد الاستعمار. وان المقاومة العربية في فلسطين بهدف التحرير ، جزء لا يتجزأ من حركات التحرر على الصعيدين العربي والعالمي . ولقد صاحب هذا المضمون التقدمي الواضح كل الوضوح ، للقضية الفلسطينية ، والذي حقق الكثير من النجاح على الصعيد العالمي ، لانطلاقه من الحقيقة والواقع اولا ، ولتبديده للصورة الخاطئة التي كانت الصهيونية قد نشرتها وعملت على اقناع العالم بها ثانيا ، مضمون تقدمي اخر ، لا يقل عنه اهمية ووزنا . فلم تعد قضية فلسطين ، تمثل ، كما اراد لها الاستعمار ان تمثل ، نزاعا عنصريا ودينيا بين العرب ، واليهود ، وانما باتت تمثل كما هي في الحقيقة والواقع ، صراعا بين شعب يريد التحرر ، ويطالب بحقه في تقرير مصيره ، وبين قوى ضخمة هائلة تآمرت عليه ، وعلى وطنه وحريته ، وهي قوى الاستعمار والصهيونية والامبريالية العالمية .

ومن هنا فلا ضير ولا ضرار مطلقا في توجيه النقد الصريح والبناء الى ذاتنا . فلقد وقع الكثيرون من ادبائنا ومفكرينا ، بل ومن ساستنا ايضا ، وقادة النضال في بلادنا في الشرك ، الذي نصبه الاستعمار لنا ، ومدت الصهيونية حباله ، امامنا ، لنقع فيه ، ولتحقق هي عن طريق هذا الوقوع ، ما تريده وتتوخاه . ولقد رأينا ادباء كثيرين من كتاب وشعراء ، طيلة السنوات التي انقضت على ابتلاء الامة العربية بالمخطط الامبريالي ـ الصهيوني ، ولا سيما في الفترة الاولى التي تلت نكسة الخامس من يونيو ، والتي تميزت بجيشان العواطف وثورتها ، يقعون في هذا الشرك ، وينطلق انتاجهم الادبي من فكرة اساسية ، وهي العداء لليهود ، كيهود ، لا بعد وقوعهم تحت تأثير الصهيونية العالمية ، وانما منذ أقدم عصور التاريخ . ولا شك في ان بعض المؤلفات والقصائد الشعرية ، والقصص والمسرحيات ، كانت نظرا لانطلاقها من هذا المبدأ ، تحقق للصهيونية مخططاتها ، وللاستعمار اهدافه ، بصورة لاواعية ، فتصور العرب ، على أنهم متعصبون عنصريا، وان عداءهم لاسرائيل ، نابع عن رواسب فكرية عنصرية قديمة .

وقد لا اكون في حاجة هنا الى تعداد بعض الامثلة ، ولكن نظرة فاحصة واعية ، على الكتب العربية التي صدرت في الماضي ، تقدم الدليل الناصع على ما اقول . فلقد اراد الاستعمار منذ البداية ، ان يصور مشكلة فلسطين ، على انها نزاع طائفي ، وعنصري بين فئتين ، لا يمكن حله ، الا على يدي ، طرف ثالث ، وهو الاستعمار طبعا ، يمثل دور الحكم العادل والفصل بينهما . وكان الاستعمار يتوخى من هذه الاحبولة التي نصبها ، والتي وقع فيها الكثيرون منا ، بالوعي واللاوعي، تبرير وجوده اللامشروع في فلسطين ، الى اللحظة التي يعتقد فيها ان الظروف باتت مهيأة لاقامة الدولة الصهيونية .

اما الصهيونية ، فقد نشرت بدورها هذه الفكرة وعملت على مدها ، على اوسع نطاق ممكن ، لهدفين اساسيين ، اولهما ، مذهبي يتعلق بالفكرة الصهيونية نفسها ، وثانيهما ذرائعي ، ويتصل بالترويج للعقيدة الصهيونية ، وحمل مثقفي العالم ، ولا سيما من التقدميين على دعمها وتأييدها . فنحن نعرف اولا ، ان هذه العقيدة ، قامت على الاساس الخاطىء الذي يقول ، بأن اليهودية دين وقومية ، وان هذه النظرة الوهمية ، تجعل من الوجود اليهودي ، في مختلف بلاد العالم، مشكلة تولدها الصراعات القومية ، وتؤدي بالتالي ، الى انتشار اللاسامية . ونحن نعرف ايضا ان الصهيونية نفسها ، اتخذت من هذه النظرة الوهمية التي بشرت بها منذ نهاية القرن التاسع عشر ، الذريعة، للبحث عن الوطن ، الذي لا بد لكل قومية من التبلور فيه ، فراحت تنقب في كتب التاريخ ، تقلب صفحاتها ، الى ان عثرت على علاقة تاريخية وهمية بين اليهود القدامى ، وبين ارض فلسطين ، لا تعدو في مسارها الزمني فترة قصيرة ، لا تكاد تضاهي بالقرون الطويلة التي اقام العرب ابانها في هذه البلاد سواء قبل مجيء العبرانيين اليها ، او بعد رحيلهم عنها . ومن هنا برزت مطالبة الصهيونية باقامة وطن قومي لليهود في فلسطين ، ليكون هذا الوطن المرحلة الاولى في طريق انشاء الدولة اليهودية ، والخطوة التمهيدية ، لبناء اسرائيل الكبرى التي تحلم الصهيونية بامتدادها من الفرات الى النيل . ونحن نعرف كذلك ، ان نظرية القومية اليهودية المفتعلة ، وما ينتج عنها من تضارب في ولاء اليهودي اينما كان ، هي التي ادت الى تزايد الحركات اللاسامية ، وتصاعدها في البلاد الاوروبية والاميركية ، والى اقناع اليهود بوجوب الهجرة الى فلسطين ، لاقامة كيانهم الخاص بهم فيها. وليس خافيا ما كانت تلجأ اليه الصهيونية من اساليب في بعض البلاد ، اعترفت بها مصادرها نفسها ، لافتعال الحركات اللاسامية ، وارغام يهود تلك البلاد على الهجرة منها الى فلسطين ، لضمان تزايدهم العددي فيها ، وهو شرط اساسي في اقامة الدولة اليهودية.

ولقد نتج عن هذا الشرك الذي نصبه الاستعمار ، لتبرير وجوده،

والذي مدت الصهيونية حباله ، لخدمة أهدافها المذهبية ، ان وقع الكثيرون من ادبائنا ، كما قلت ، ومن مفكرينا وساستنا فيه بالوعي او اللاوعي ، حتى أن بعض القادة ، كانوا يصدرون عن اراء واقوال، تحمل الطابع العنصري والعداء لليهود كيهود . فلقد سمعنا البعض منهم يتحدث عن ابادة اليهود في فلسطين ، او عن قذفهم في البحر . واستغلت الدعاية الصهيونية هذه الاقوال ، اوسع استغلال ، ونشرتها في طول العالم وعرضه ، حتى ان الكثيرين من المثقفين التقدميين على الصعيد العالمي ، باتوا يعتقدون ، نتيجة عدم اطلاعهم على الصورة الصحيحة للقضية ، بأن النزاع حول فلسطين يمثل خلافا عنصريا ، وطائفيا ، قوامه جانبان ، احدهما الجانب العربي الذي يدين بالعنصرية، ويمثل بالتالي التخلف والرجعية ، لا سيما وان الظروف الوضعية التي تعيشها بعض اجزاء الوطن العربي ، والسلوك الذي يسلكه بعض اثرياء البترول وامرائه في بلاد الغرب ، يؤكد هذه الصورة ، والثاني ، الجانب الصهيوني الذي يمثل الضحية للعنصرية العربية ، ويمثل بالتالي واحة التقدم ، في صحراء الرجعية العربية التي تحاول القضاء عليه .

***

ومن هنا تبرز رسالة الاديب الحقة ، في تصوير القضية الفلسطينية في صورتها الصحيحة الصادقة ، وفي رفض الصورة السابقة التي وقع بعض ادبائنا ضحيتها نتيجة اندفاع العواطف بصورة لاواعية من ناحية ، ونتيجة المناورة الامبريالية ـ الصهيونية من الناحية الاخرى . فالقضية ليست نزاعا عنصريا او دينيا على الاطلاق ، لاننا لا نؤمن باليهودية كقومية من ناحية ، ولاننا نحترم اليهودية كدين من الاديان التي يعتنقها بعض ابناء المجتمع الانساني من الناحية الثانية . وانما هي قضية تحررية من ابرز القضايا الماثلة في العالم ، ولانها قضية شعب انتزع منه وطنه ، واغتصبت ارضه ودياره ، ومقومات وجوده ، وموارد حياته ووقع ضحية للمؤامرة الامبريالية ـ الصهيونية التي اقامت تلك القاعدة المسماة باسرائيل ، والتي تمثل ابشع صور الاستيطان الاستعماري ، والتفرقة العنصرية ، والتوسع والعدوان .

***

وهنا يبرز الارتباط الوثيق بين مستقبل القضية الفلسطينية وبين معركة الحرية ، لا في الوطن العربي فحسب ، بل وفي العالم كله ايضا ، أذ ان القضية تجسد الصراع بين الامة العربية، والتحالف الاستعماري ـ الصهيوني ـ الرجعي . ومن هنا ايضا يتحتم على الفكر الفلسطيني بل والعربي ، سواء اكان نثرا ام شعرا ، ان يؤيد جميع الشعوب المناضلة في العالم ، لتصفية الاستعمار والامبريالية وعملائهما، والمكافحة من اجل تحقيق السلام العالمي القائم على العدل .

***

ونحن نواجه الان ، وفي هذه الايام ، صورة من ابشع صور الحروب النفسية ، وضغوطا من اعنف الضغوط التي تعرضت لها اية امة من الامم . وهدف من يشنونها من رجال الصهيونية والاستعمار ، اضعاف ثقتنا بانفسنا ، وبعث اليأس من المستقبل ، كما قال الرئيس عبد الناصر ، في احدى خطبه الاخيرة ، في قلوبنا ، وذلك لايهان عزائمنا عن المضي في المعركة الطويلة والمريرة ، التي لا بد من خوضها ومواصلتها حتى يتحقق لنا النصر على اعدائنا . ولعل من ابرع صور هذه الحرب النفسية ، القول بأن مائة مليون عربي قد هزموا في حرب يونيو الماضية امام مليونين من الاسرائيليين .

لكن الحقيقة والواقع يقولان ان اسرائيل في حربها معنا في العام الماضي ، لم تكن تمثل مليونين من الناس كما يقال ، وانما كانت تمثل قوى الصهيونية العالمية جميعها ، وقوى الامبريالية الدولية كلها ، بما تعنيه هذه القوى من امتداد للحضارة الغربية يتجسد في القاعدة التي اقامها الاستعمار في قلب وطننا العربي ، ومن دعم في مجالات الاقتصاد والتقنية ، والتسليح ، والخبرات الفنية ، والقدرات البشرية والمادية والمعنوية . ولم تكن الامة العربية بما تعده من مائة مليون من الناس ، وما تملكه من طاقات بشرية ، وموارد مادية ومعنوية ، هي التي خاضت هذه الحرب القصيرة ، وهي التي اصيبت بالنكسة العسكرية فيها ، اذ ان جماهير هذه الامة ، لم تشترك في المعركة ، كما ان مواردها لم تعبأ ولم تحشد في خدمتها وتسييرها .

***

ولذا فقد بات لزاما على الفكر العربي ، وما يمثله من انطلاقات ومن انتاج ، وما يحمله من كفايات ادبية ، أن يقف في مواجهة هذه الحرب النفسية التي تتعرض لها الامة العربية ، وان يتحمل مسؤولياته القيادية في الرد عليها والكشف عن زيفها واباطيلها .وعليه تبعا لذلك ، ان يفسد على الصهيونية ومن ورائها الامبريالية العالمية مخططاتها لاضعاف العزيمة العربية ، والتشكيك في مقدرات امتنا حتى مواصلة خوض المعركة التي لم تنته في نكسة الخامس من يونيو الا جولة واحدة من جولاتها ، وان يعيد الثقة الى النفوس ، ويعمل على حشد المائة مليون بصورة فعلية ، وما يملكون من قدرات مادية ومعنوية في الجولات القادمة من المعركة الطويلة والمريرة .

وهكذا بات لزاما على الفكر العربي ، الملتزم بخوض معركة التحرير حتى النهاية ، ان يحسر النقاب عن كل زيف ، سواء في الحرب النفسية التي يشنها اعداء الامة العربية عليها او في ادعاءات بعض المتحكمين في شؤون الامة العربية ومقدراتها ، حول مواجهة العدو ، وان يصور الاسباب الحقيقية للنكبة ، بعيدا عن التصوير المادي والجانبي المؤقت ، وانطلاقا من الاسباب العميقة الكامنة في اساس الوجود العربي الراهن وعلله السياسية الحضارية . ومن هنا يكون فرض التزام منطق الفكر العلمي الثوري ، وتكون ضرورة تعميق هذا الفكر الثوري ، واسهامه في رسم استراتيجية العمل العربي الثوري ، لتحرير الوطن السليب ، وازالة الوجود العدواني المتمثل في اسرائيل، بدلا من ازالة اثار العدوان الناتجة عن عدوان الخامس من يونيو . ويتطلب هذا اول ما يتطلب ، الاستناد الى منطلقات الفكر القومي العربي التقدمي ، والالتحام مع الفكر الثوري ، في نضال موحد ، من اجل تحقيق اهداف الامة العربية الواحدة .

***

وهناك مفهوم ثالث ، يجب ان يلتزم به المفكر العربي ، وان يستند اليه في كل ما يصدر عنه من انتاج . وهذا المفهوم ، ان ما اصاب الامة العربية من نكسات متلاحقة ، منذ تمكن الاستعمار من خلق اسرائيل في قلب الوطن العربي ، ظاهرة مؤقتة ، خلقتها الامراض والعلل التي عانت منها ولا تزال تعاني امتنا العربية . واذا كانت فلسطين قد ضاعت مؤقتا ، فانها لا يمكن ان تضيع ابدا ، طالما ان هناك شعبا عربيا واعيا يؤمن باهدافه القومية ، رافعا شعاراتها ، وعاقدا العزم على تحويلها الى واقع . فلا حرية للعرب في أي جزء من اجزاء وطنهم العربي الكبير ، طالما ان هناك اسرائيل وخطرها في التمدد والتوسع ، وطالما ان هذه الدولة الدخيلة ، تمثل القاعدة التي اقامها الاستعمار في قلب الوطن العربي ، ليعتمد عليها في تنفيذ مخططاته ، وحماية قواعده ومصالحه البترولية وغير البترولية . ولا وحدة للوطن العربي ، طالما ان اسرائيل ، تمثل الاسفين الذي دقه الاستعمار العالمي ، في قلب الوطن العربي ، ليحول دون تحقيقه للارتباط الجغرافي المباشر الذي يعتبر عاملا كبيرا من عوامل الوحدة ومقوماتها. ولا يمكن للامة العربية ان تفذ السير في عملية بناء نهضتها الاقتصادية والاجتماعية ، وتحقيق ثورتها الاشتراكية طالما ان وجود اسرائيل في قلب الوطن العربي ، يفرض على الدول العربية المحيطة بها أن ترصد الجزء الاكبر من مواردها ، لتأمين الدفاع ضد العدو الاسرائيلي، وبذلك يستنزف القدر الكبير من هذه الموارد ، في الاغراض الدفاعية ، بدلا من انفاقها ، في بناء الاقتصاد القومي .

ومن هنا ، يبرز البعد القومي للقضية الفلسطينية بصورته الواضحة والجلية . فاسرائيل لم تعد خطرا يهدد ابناء فلسطين

ـ التتمة على الصفحة ٨١ ـ

رسالة الاديب في مكافحة الصهيونية

ـ تتمة المنشور على الصفحة ٥٩ ـ

***

وحدهم ، وانما هي خطر دائم ومستمر ، يطمع في العدوان والتوسع ، ويهدد الامة العربية كلها ، في وجودها ، وفي مصيرها . واذا كان ابناء فلسطين وبناتها ، هم بحكم الواقع والضرورة ، طليعة القوى في معركة تحرير وطنهم ، وبالتالي ، طليعة الفداء في خضمها ، فانهم لا يمثلون بالطبع جميع القوى فيها . ولا بد من ان تشترك فيها جميع القوى المؤمنة بوحدة النضال العربي في سبيل تحقيق اهداف الامة العربية . ولما كان الكفاح المسلح ، هو السبيل الذي لا سبيل سواه ، لتحرير الارض العربية ، وتصفية الوجود الصهيوني ، فان ذلك يتطلب من الاديب العربي ، أن يلتزم في انتاجه ، بتعميق الوعي الجماهيري بهذه الحقائق ، وبالعمل على تحقيق متطلبات كثيرة واساسية ، وفي مقدمتها ضمان حرية العمل للشعب الفلسطيني ليخوض معركته مع القوة الغاصبة التي تحتل وطنه ، وتمكينه من اعداد نفسه بالتنظيم والتدريب والتسلح ، لتحمل مسؤولياته وواجباته النضالية ، وتوفير القوة العربية القادرة على المضي في المعركة حتى نهايتها الحاسمة .

***

فمعركة فلسطين ، جزء لا يتجزأ من معركة الامة العربية ضد اعدائها ، بل قد تكون صورة رئيسية من صورها . ولذا يجب ان تكون معطياتها هي عين معطيات المعركة العربية الواحدة . ومن هنا يبرز التزام الاديب العربي بوجوب الربط ربطا وثيقا بين تحرير فلسطين وبين معركة الامة العربية ضد الاستعمار والاستغلال ، بجميع صورهما واشكالهما . وذلك لان تحرير فلسطين ، جزء لا يتجزأ من حركة الثورة العربية واقعا ومصيرا .

***

ويتحتم على الاديب العربي تبعا لذلك ، ان يحدد موقفه من التناقضات القائمة في الوطن العربي ، وان يعمل ضمن اطار هذا التحديد ، على ضمان الحرية للوطن والانسان العربيين . ولا بد في تحديده لهذا الموقف ، من ان يكون مع الثورة العربية اذ ان انتصارها، يعني القضاء على التخلف ، وتصفية الاستعمار بمختلف صوره واشكاله، كما يعني تصفية الوجود الصهيوني في فلسطين ، وتصفية جميع المصالح الاستعمارية والاستغلالية المرتبطة بهذا الوجود .

***

وهناك مفهوم رابع ، لا بد للاديب العربي من الالتزام به ، بعد ان اتضحت جميع ابعاده ، وهو ان معركتنا في فلسطين ليست مع الصهيونية وحدها ، وانما هي مع الاستعمار ، الذي يمثل في الحقيقة والواقع ، خصمنا الاساسي في مشكلة فلسطين بالذات . ولسنا في حاجة الى التاكيد هنا ، بان الاستعمار هو الذي خلق اسرائيل واقامها في ارضنا العربية الطيبة الطاهرة ، لتكون قاعدته في هذا الجزء من العالم ، واداته المنفذة في الوطن العربي ، والمكان الذي يستقر فيه نفوذه ، وتتوطد دعائم سلطانه وعدوانه ، ويستخدمه في مؤامراته ومناوراته .

فالاستعمار القديم ، ممثلا في زعيمته السابقة بريطانيا ، هو الذي اصدر وعد بلفور ، فاعطى من لا يملك ، لمن لا يستحق ، وطنا له اهله وشعبه ، ثم تعاون من لا يملك ، ومن لا يستحق ، على حرمان صاحب الحق مما يملكه ويستحقه . والاستعمار هذا ، هو الذي ضمن صك الانتداب ، الذي فرضته عصبة الامم السابقة ، النص على اقامة الوطن القومي اليهودي في فلسطين . وهو الذي فرض انتدابه البغيض عليها، اكثر من ثلاثين عاما ، لم يترك ابانها حيلة او وسيلة او قانونا او سياسة ، الا واتبعها لتحقيق تهويد فلسطين ، وتنفيذ مخططه في اقامة اسرائيل على ارضها ، بعد ان تغدو الظروف الموضوعية في البلاد مهياة لذلك . وقد لا اكون في حاجة هنا الى تذكير اعضاء المؤتمر الموقرين ، بما اقدمت عليه حكومة الانتداب البريطاني من تصرفات، وما اتبعته من اجراءات ، لاضعاف العرب ، عسكريا وسياسيا واقتصاديا ، ولتقوية اليهود في مختلف هذه المجالات . فكانت الامتيازات الاقتصادية للمشاريع الكبيرة لا تمنح الا للمؤسسات اليهودية ، كما كانت الضرئب القاسية تفرض على العرب . وكانت السلطات البريطانية هي التي تشرف على تسليح اليهود وتدريبهم عسكريا ، كما حدث بالفعل في الثلاثينات ، عندما عهدت الى واحد من خيرة قادتها العسكريين ، وهو الجنرال دنيجيت ، بتدريب وحدات يهودية خاصة ما لبثت ان الفت جيش الهاجانا الاسرائيلي ، بينما كانت تحرم على العرب امتلاك اي سلاح ، وتقضي على كل عربي ، توجد في حيازته أية قطعة من السلاح بالاعدام . ولقد نفذ هذا الحكم بالفعل في كثيرين من العرب ، لان بعض البنادق القديمة ، او الخراطيش الفارغة ، او السكاكين قد وجدت في حيازتهم .

والاستعمار الجديد ، ممثلا في زعيمته اميركا ، هو الذي فرض مشروع التقسيم على الامم المتحدة ، واشرف على تنفيذه ، ليقيم اسرائيل في فلسطين ، وليعزز كيانها بعد اقامته ، بما يفدقه عليها من حماية سافرة ، ومن عون مادي ضخم ، ودعم يتمثل في انواع الصواريخ ، ومليارات الدولارات والماركات الالمانية الغربية . وقد قصد من اقامتها، كما سبق وقلت ، اشغال العرب بها ، وصرفهم عن الجهود البناءة ،التي تستهدف رخاءهم ، وتحسين احوال العيش في بلادهم . كما اراد منها ان تكون وسيلة للحيلولة دون مضي الركب العربي ، في طريقه السريع، نحو التحرر الكامل ، والتقدم الحضاري ، والوحدة الشاملة .

ويتضح من هذا ان معركة فلسطين باتت واضحة في مقوماتها ومعطياتها ، ومفاهيمها واتجاهاتها . فلا يمكن ان تخاض معتمدة على الفئات والقوى التي ترتبط مصالحها بمصالح الاستعمار ، وانها والحالة هذه مرتبطة ارتباطا وثيقا بمعركة التحرر من الاستعمار في كل مكان .

***

وهكذا يتضح التزام الاديب في أن يعرض صورة العلاقة الوثيقة والصحيحة بين الاستعمار والصهيونية ، وواجبه القيادي في ان يبين للجماهير ، حقيقة العدو الذي يواجهنا في معركتنا الطويلة مع الصهيونية .

والمعروف ان المآسي تهز الادباء من صميم اعماقهم ، وتؤثر فيهم، فيستلهمون من فواجعها واثارها ، وحي انتاجهم . وكان حريا بما وقع للامة العربية في حرب الخامس من يونيو ، أن يهز هذه الاعماق ، وان ينعكس ذلك في انتاج كل منهم ، مرتقيا في انتاجه الى مستوى المعركة المفروضة على الامة العربية ، والتي لن تنتهي الا بتصفية الوجود العدواني الذي تمثله اسرائيل .

***

وبات لزاما على الاديب العربي ، وهو مسؤول مسؤولية قيادية عن توجيه الجماهير الى واجب الدفاع عن المصير العربي كله ، ان يلتزم بالخط السياسي الواضح الذي يخلو من الغموض ، ويتجنب الوقوع في الاخطاء التي وقع فيها بعض مفكرينا في الماضي . وعليه ان يحدد للرأي العام العربي ، قبل العالمي ، خطوط طريقنا في النضال، فيوضحها ويفسرها ، ويشرحها ، ثم يبادر الى الدفاع عنها ، بكل ما اوتي من فصاحة قول ، وجلي بيان ، وروعة اسلوب فني .

فليس من السليم ، ولا من الصحيح ، ان يركز اي من ادبائنا على القول بان اسرائيل وحدها هي عدوتنا ، وانما العدو الحقيقي والفعلي ، هو من يقف وراء اسرائيل ، يشد ازرها ، ويدعم كيانها ، ويمدها بكل اسباب الحياة ومقومات الوجود ، واعني بها قوى الاستعمار العالمي ، التي لم تعد صلتها بالصهيونية واسرائيل خافية على اي انسان اوتي قليلا من التبصرة وسلامة الادراك .

***

وليس صحيحا ، من الاديب ، وهو يركز على تجسيد العدو في صورة اسرائيل ان يستهين بامرها ، او يقلل من قيمة قدراتها

وطاقاتها ، لانها كما قلنا تجسد قوى الصهيونية العالمية كلها ، وقوى الاستعمار العالمي جميعها ، ولانها امتداد للحضارة الامبريالية الغربية بكل ما تعنيه من تفوق مادي وتقني . ولذا فمن واجب الاديب ان يصور اننا امام خصم قوي ، يزوده الاستعمار بكل حاجاته وبكل مقومات الوجود ، وان هذا العدو ، متأثرا بمذهبيته التي خلقتها الصهيونية ، واسدت عقول جماهير اليهود بها ، عنيد ، ومصمم على الاحتفاظ بالارض التي احتلها ، ومن هنا تبرز رسالة الاديب في دعوة الامة العربية بكل قدراتها المادية والمعنوية والبشرية الى التصدي لهذا الخصم ، ومواجهته في معركة المصير ، التي لا بد ان يكون النصر فيها للامة العربية .

***

وليس صحيحا من الاديب ، أن يطرح قضية فلسطين في مجالها العالمي ، على انها قضية صراع طائفي او عنصري ، لان مثل هذا الطرح يخدم الصهيونية نفسها ، كما يخدم الاستعمار العالمي الذي يقف وراءها . ولا بد من عرض القضية على ان اسرائيل في حقيقتها ، اوضح صورة مادية للوجود الامبريالي بشكله الجديد في قلب وطننا العربي ، وانها امتداد لهذا الوجود بكل ما يمثله من فكر وفلسفة ومصالح مادية . وهنا لا بد من التركيز على ان هدف العرب ، تحرير وطنهم من هذا الامتداد ، ومن الكيان الذي يجسده والذي يسمى باسرائيل . اما ما مصير اليهود المقيمين فوق ارضنا العربية ، فيتوقف عليهم بعد تحررهم من العقيدة الصهيونية وما تمثله من فلسفة عنصرية ، ونزعات عدوانية . وسيتقرر هذا المصير في ضوء هذا الموقف من ناحية ، وفي ضوء عودة فلسطين الى اهلها الشرعيين ، كجزء لا يتجزأ من الوطن العربي . فنحن لسنا ضد اليهود كيهود ، وانما نحن ضد الصهيونية الطامعة في وطننا والسالبة لحقوقنا والمغتصبة لارضنا . ولا ريب في ان تحريرنا لوطننا في فلسطين سيساعد كثيرا على حل المشكلة اليهودية نفسها في مختلف بلاد العالم . اذ يرتبط اليهودي بعد تحرره من الولاء لاسرائيل ، بولائه للوطن الذي كان يقيم فيه ، ويصبح عضوا نافعا في مجتمعه ، بدلا من ان يثير بولائه المزدوج ، وتصرفاته القائمة على التطلع الى اسرائيل كوطنه عقدة اللاسامية في تلك المجتمعات .

***

وليس من الجائز للاديب ، مهما كانت العقيدة المذهبية التي يؤمن بها ، ان ينساق وراء ما توحي له به هذه العقيدة ، من كره لانظمة حكم معينة في بعض بلاد العالم ، فيضع هذه النظم في صف واحد ،مع الامبريالية العالمية ، التي تمثل اس الداء في قضية فلسطين ، ويبادرها بالعداء ، مع اننا في اشد الحاجة الى عونها ودعمها في نضالنا الحر العادل والشريف ، لتصفية الوجود العدواني من ارضنا . وبالرغم من ايماننا الكامل بأن قضية فلسطين هي قضية شعبها اولا ، وقضية امتنا العربية قبل كل شيء ، الا اننا يجب أن لا نغفل او نتغافل عن الدور الذي يستطيع فيه اصدقاؤنا ان يؤدوه في نصرة قضيتنا.وعلينا ونحن نتطلع الى هؤلاء الاصدقاء ان لا ننتظر منهم ان يكونوا معنا مائة في المائة ، بل يكفينا ان نحصل من الصديق على اية نسبة من التأييد يستطيع تقديمها الينا بوحي من مذهبيته ومن مصالحه ايضا .

وهناك نقطة مهمة اخرى ، يجب ان لا تغرب عن بالنا على الاطلاق ، وهي أن عرض قضيتنا بالصورة المتفتحة ، والتقدمية،والخالية من كل شوائب عنصرية أو عداء طائفي ، يكسبنا الكثير من المؤيدين والاصدقاء ، في اوساط المثقفين العالميين ذوي التأثير الضخم في الفكر الانساني بوجه عام ، وحتى في الوسط اليهودي نفسه . ولقد حققنا في الآونة الاخيرة ، الكثير من المكاسب على هذا المستوى ، فانبرت اقلام حرة كثيرة ، ولا سيما في فرنسا ، وبينها اقلام بعض اليهود التقدميين من امثال مكسيم رودنسون ، واسحق دويتشر ، للتنديد بالصهيونية كعقيدة فاشية رجعية ، وللتنديد باسرائيل ، كاداة من ادوات الامبريالية العالمية تستخدمها في محاولة وقف تيار التقدم العربي والسير نحو بناء المجتمع الاشتراكي الوحدوي الصحيح .

وهناك ظاهرة خطيرة ، برزت في الاشهر القليلة التي تلت نكسة الخامس من يونيو ، عند بعض ادبائنا وشعرائنا العرب ، تشبه الى حد كبير الظاهرة التي برزت في الانتاج الادبي بعد نكبة عام ١٩٤٨ ، والتي اسميت بادب النكبة او ادب المأساة ، لانه اتخذ منها ومن نتائجها واثارها ، ووقائعها موضوعا ، تناول أحداثها ، وسجل وقائعها ، وقصص اهوالها . واعني بهذه الظاهرة ، صورة الانهيار المعنوي عند بعض الشعراء والادباء ، الذي دفعهم الى تشكيك الشعب العربي في نفسه ، وفي قدراته ، وطاقاته ، مع أن هذا الشعب بريء من النكسة كل البراءة ، لان الفرصة لم تتح له ابانها لخوض المعركة مع اعداء الامة العربية .

***

ولقد كفر بعض الكتاب والشعراء ، بامتهم ، وبتاريخها وامجادها، واخذوا يعلنون ، بأن العرب لا يصلحون للحياة ، وانهم ليسوا اهلا بتحمل اعبائها ومسؤولياتها ، وانهم يحيون على هامشها ، يلهون بالتوافه ، متخلفين عن ركب الحضارة الانسانية الذي يسير اعداؤهم في مقدمته . وبلغ هذا الكفر ، حد اتهام الامة العربية بعقم التفكير ، وبالتخلف الادراكي . ولم يقتصر هذا التشكيك الذي يحطم الثقة بالنفس ، والاعتداد بالوجود العربي ، على الحاضر او المستقبل فحسب، وانما تعداهما الى الماضي ، فتوارت حضارة العرب القديمة وامجادهم، في نظر هؤلاء المتشككين وراء سحب قاتمة من اضاعة الايمان بالنفس والتاريخ ، ومن اليأس من قدرة العرب على البقاء ، كامة حية ذات مقومات وكيان .

ولا شك في أن هذه الظاهرة من اليأس ، خطيرة كل الخطورة ، بل هي اخطر على الامة العربية من نكسة يونيو نفسها . ولا شك في ان استمرار هذه الظاهرة يخدم اهداف العدو الصهيوني والاستعماري، وذلك لان الضياع ، هو النهاية الحتمية لكل امة تفقد ثقتها بنفسها ، وتفقد قدرتها على التغني بامجادها ، وتخسر تطلعاتها الى الافادة من عبر النكسة ودروسها ، في الاعداد للجولات المقبلة من المعركة الطويلة والمريرة ، التي يتحتم على الامة العربية ان تخوضها حتى تتحقق لها اهدافها القومية ، وفي مقدمتها استعادة الوطن السليب .

ولقد عادت بي الذاكرة ، بعد رؤيتي لهذه الظاهرة الخطرة الى السنوات التي تلت نكسة عام ١٩٤٨ ، والتي اجرؤ على تسميتها بسنوات الضياع ، اذ انها اقتطعت شطرا زمنيا طويلا من عمر النضال الفلسطيني ، ومن عمر النضال العربي عامة ، وحصرته في الندب والعويل والبكاء على الديار والاطلال ، الى ان افاق الشعب الفلسطيني من ذهوله ومن ضياعه ، ليخوض المراحل المتتالية التي واجهها ، والتي بات يتوجها الآن بمرحلة المقاومة المسلحة لاستخلاص وطنه السليب وتحريره .

ولسنا ننكر ان مأساة فلسطين في عام ١٩٤٨ ، وما ترتب عليه من نتائج ، مثلت صدمة عنيفة للامة العربية ، وضربة قاصمة لوجودها وكيانها ، وان هذه الصدمة ، دفعت الكتاب والمؤرخين لتحليل اسبابها ، والبحث في عواقبها ، والتقصي عن وسائل علاجها . ولا شك ايضا ، في ان المأساة هزت افئدة العرب ، واثارت كوامن عواطفهم ، واوحت الى ادبائهم وشعرائهم ، بالبيان الرائع والانتاج الرفيع . وكانت مصدرا من مصادر الادب ، وينبوعا من ينابيع الشعر .

وكان من حق هؤلاء الكتاب والشعراء انذاك ، ان يتهموا قادتهم وزعماءهم وحكامهم ، لانهم تخاذلوا ، تبعية منهم للاستعمار الذي كان يسيطر عليهم بموجب معاهداته ، وقواعده ، وجيوشه ، وبعثاته العسكرية ، عن خوض الحرب الحادة لانقاذ فلسطين . وتذكرني هنا ، كلمة وردت في مقال لكاتب عربي نشرته مجلة الرسالة جاء فيها ....
« لن يكون في اعناقنا ولاء لاي واحد من هؤلاء الذين ، يتمثل فيهم سلطان العرب ، قبل ان يمحى هذا العار . ان في يد كل زعيم عربي اثرا من رجس ، وان ايدينا لن تصافح من جديد ، الا اولئك الذين طهروا ايديهم من هذا الرجس ، وغمسوها في دم اعدائهم سبع مرات

متواليات . « الذين يحمون بيوت الله ، ولا الذين ينتسبون لرسول الله ، ولا الذين يحيون شرع الله ، ولا الذين يدعون العروبة قبل محمد نبي الله ، ليس احد من هؤلاء جميعاً ، اهلا لان يكون حيث يريد ان يكون ، حتى يدفع عنه هذا الخزي ، الذي يعيش في وطنه كل هذه الملايين . اما قبل ذلك ، فدعونا نردد قول الله : ربنا ان اطعنا سادتنا وكبراءنا ، فاضلونا السبيلا . ربنا آتهم ضعفين من العذاب ، والعنهم لعنا كبيرا .

وتذكرني ايضا ابيات شاعرة فلسطين ، فدوى طوقان الاسيرة في سجن اسرائيل الكبير في هذا المعنى ، اذ تقول ...

يا وطني ما لك يخنى على	روحك معنى الموت معنى العدم
امصك الجرح الذي خانه	اساته في المأزق المحتدم
اين الالى استصرخهم ضارعا	تحسبهم ذراك والمعتصم
ما بالهم قد حال من دونهم	ودون مأساتك حس أصم
واخجلتا ، حتام اهواؤهم	تفرقهم في لجها الملتطم
هم الانانيون قد أغلقوا	ابوابهم دون البلاء الملم

ولا شك أن من حق كل أديب ، أو شاعر ، أن يتمرد وان يثور وهو يرى هذه النكبة تحل بأمته ، وهذه المأساة تنزل بوطنه ، بل انه لا يكون أديبا ولا شاعرا ، اذا لم يثر ، واذا لم ينفعل مع الالام التي يعاني منها شعبه . ومن حقه أيضا أن ينقد ، وأن يوجه من اللوم أقساه وأعنفه . ولكن ليس من حقه ، أن يبعث في أدبه وشعره ، روح اليأس من الغد ، ومشاعر التشكيك بقدرة أمته على المضي في معركتها حتى النهاية ، مهما غلت التضحيات .

وهنا يبرز دور المقاومة الفلسطينية التي اشتعل أوارها ، داخل أرضنا المحتلة ، بعد الخامس من يونيو ، لتكون الشعاع الذي ينشر الامل ، والضوء الذي ينير للامة طريقها ، وسط الدياجي الحالكة التي تحيط بها . فهي تجسد أول ما تجسد تصميم الشعب الفلسطيني الذي لا ينثني ، وعزيمته التي لا تضعف ولا تلين على تقديم القرابين من الشهداء ، قافلة اثر قافلة ، ليلحقوا باخوانهم من شهداء فلسطين الذين تجاوز عددهم عشرات الالوف ، منذ ابتليت فلسطين بالانتداب البريطاني في عام ١٩١٧ ، ومنذ نكبت بالمطامح الصهيونية واقامة الدولة اليهودية . وهي تعلن للعالم بأسره ، ان شعب فلسطين ما زال صامداً في الميدان يخوض معركته لتحرير أرضه ووطنه .

ولا شك في ان هذه المقاومة كفيلة بأن تصرف بعض الادباء والشعراء العاطفيين عن موجة اليأس التي اجتاحتهم بعد النكسة ، وأن تحولهم الى التغني بأمجاد البطولة والفداء ، والاشادة بسير المقاومين البواسل ، الذين لا يخشون العدو مهما اشتدت سطوته ، وقوي جبروته . ويحضرني في هذا قول الشاعر الفلسطيني خالد نصرة :

من دم الثأر من ثخين الجراح	سوف أسقي غدا وأروي سلاحي
من لظى الحقد والاذى والمآسي	نسجت قبضة الجهاد وشاحي
يا فلول الدجى ، ويا جحفل الظلم	استعدا الى لقاء الصباح
قد صحت أمتي لتكتسح الضيم	والاضطهاد كل اكتساح
جذوة الوعي ألهبت كل قلب	وأنارت له طريق الكفاح

وقول الشاعر الفلسطيني .. أبي سلمى :

فلسطين الحبيبة كيف أحيا	بعيدا عن سهولك والهضاب
تناديني السفوح مخضبات	وفي الافاق اثار الخضاب
تناديني الشواطىء باكيات	وفي سمع الزمان صدى انتحاب
تناديني الجداول شاردات	تسير غريبة دون اغتراب
تناديني مراشفك اليتامى	تناديني قراك مع القباب
ويسألني الرفاق ألا لقاء	وهل من عودة بعد الغياب
أجل سنقبل الترب المندى	وفوق شفاهنا حمر الرغاب
غدا سنعود والاجيال تصفي	الى وقع الخطا عند الغياب
مع الرايات دامية الحواشي	على وهج الاسنة والحراب
أجل سنعود آلاف الضحايا	ضحايا الظلم تفتح كل باب

وقول الشاعر هارون هاشم رشيد :

سنعود يا أختاه للوطن	رغم الشقاء وقسوة الزمن
رغم الليالي العابثات بنا	والجوع والتشريد والمحن
سنشق أستار الظلام غدا	سنشقها ونعود للمدن
سنسير بالفجر الجميل قوى	جبارة تقضي على الوهن

★★★

سنعود يا ليلى مع الفجر	والزهر والحسون والقمري
سنعود بالامال باسمة	في موكب التحرير والنصر
سنعود أكبادا مؤججة	تواقة للوطن الحر
وهناك نرفع راية طويت	ونعيدها تزهو على الدهر

وقول الشاعرة فدوى طوقان :

ستنجلي الغمرة يا موطني	ويمسح الفجر غواشي الظلم
والامل الظامىء مهما ذوى	لسوف يردى بلهيب ودم
فالجوهر الكامن من أمتي	ما يأتلي يحمل معنى الضرم
هو الشباب الحي ذخر الحمى	اليقظ المسوفز المنتقم
غلوا جناحيه وقالوا انطلق	وشارف الافق وجز بالقمم
واستنهضوه لاقتحام اللظى	والقيد ـ يا للقيد ـ يدمي القدم

وقول الشاعر يوسف الخطيب :

أنا مشعل أنا مارد جبار	لا الريح تخمدني ولا الاعصار
سأمد في الافاق ألسنة اللظى	حمرا لها في الخافقين اوار
ولاحرقن الليل حتى تنجلي	أسدافه فتوقدي يا نار
للميتين دموعهم وجراحهم	ولجذوتي ساح الوغى والنار
ولسوف أغسل جبهتي حتى ترى	مثل الضحى ويذوب عنها العار
انا للحياة ولن أظل مشردا	أقسمت لا أرضى ولا أختار
ومشيئتي قدر على أقدامه	تتمسح الايام والاقدار
أنا مجرم ، أنا حاقد ، أنا سيىء	حتى تعاد الى ذويها الدار

وقول الشاعر عصام حماد :

غدا ننفض العار عن هامنا	وننهض كالقدر المبرم
غدا يطلع الفجر ، فجر الشعوب	بهي السنى ضاحك المبسم
غدا أحمل الناي يا غادتي	وأنفخ في روحه من دمي
أخلد ذكرك في الخافقين	وأهتف باسمك ملء فمي
فانك رمز جمال بلادي	وعنوان ابداعها الملهم

وقول الشاعر علي هاشم رشيد :

نسيت فؤادي ان نسيتك موطني	فمالي لعمري حين أنساك من عذر

منشورات دار الاداب

تطلب في دمشق من وكيل الدار

مكتبة النوري

شارع سنجقدار

وان انا لم اذرف دموعا فانني احمل صبري ما ينوء به صبري
فان نحن شتتنا سيجمعنا غدا نداء مجيد حين نهتف للثار
ومن يطلب الآمال بالجد والهدى سيجني ثمار الجد بالفوز والنصر

وقول الشاعرة سميرة أبو غزالة :

واللحن يا أماه ماض لا يكف عن النشيد
في مصر في وهران في نجران في اليمن السعيد
وصداه يسري كالدماء الى شرايين الوليد
يهب الحياة ، يجمع الاحرار يبني من جديد

***

واللحن يا أماه فيه نداء عودتنا القريبه
قسما ترويه العواصف في لياينا الرهيبه
سيظل يعلو في اذان الفجر للارض السليبه
سيظل يدوي كي يعود الابن للام الحبيبه

وقول الشاعر محمود الحوت :

اتصدح النار ولا نصدح ويلعب الموت ولا نمرح
ويهتف المجد ويروي الزمن
ويملأ الدنيا نداء الوطن
ونحن لا نرمي صدور المحن ولا يرانا في الورى المسرح

***

اذن من القوم الالى اطبقوا فلم يفت غرب ولا مشرق
من الالى دانت رقاب الورى
لهم ولم تندك شم الذرى
ايام قال الدهر مستعبرا اي بلاد الله لم يفتحوا

***

لنا فلسطين ولو مزقوا جوانب الاقصى فهل حققوا
فقل لمن جاروا ومن اجمعوا
على ضلال نحن لا نخضع
وكم وكم طاب لنا المصرع وشافنا صدر الوغى الافيح

***

وهل ينام الجبل الملهم ؟ والسهل يغفو والربا تحلم
وفي حمى الدار غريب الديار
كانه يطلب في الحي نار
والعرب ابطال وغى وانتصار ولم يقهروا يوما ولم يكبحوا

***

وهناك عشرات بل مئات القصائد من هذا الطراز ، قالها عشرات الشعراء من ابناء فلسطين ، الذين لم اذكرهم في هذا البحث المقتضب، نظرا لضيق المجال ، والذين تنضح قصائدهم بالاصرار على الثار ، والتصميم على خوض المعركة حتى نهايتها المنتصرة . ولا شك في ان مثل هذه القصائد ، وما يشابهها من كتابات وقصص ومسرحيات انما تمثل رسالة الاديب في مكافحة الصهيونية خير تمثيل .

وفي ضوء ما تقدم ، نستطيع تلخيص هذا البحث الذي أتقدم به الى المؤتمر ، في ان رسالة الاديب في مكافحة الصهيونية لا بد وان تلتزم بالنقاط الاساسية التالية ، ليكون الاديب ، كما يجب أن يكون في الحقيقة والواقع ، عاكسا لتطلعات الجماهير ، ومتحملا مسؤوليته القيادية في توجيهها :

اولا : دعم المقاومة العربية في الارض المحتلة ، بمختلف السبل والوسائل ، والدعوة الى تاييدها ، ونصرتها ، والى رفع الاشواك من طريقها ، ومحاسبة الذين يتخاذلون عن تصعيدها ، لتكون أداة فعالة من أدوات التحرير . ولا ريب في ان اولئك الذين يحملون دماءهم على اكفهم ، ويمضون الى الاستشهاد ، دفاعا عن امتهم العربية ، ووطنهم المحتل ، يستحقون من الاديب ، اذا كان اديبا حقا ، ان يشاركهم هذه الرسالة القائمة على البذل والفداء ، بقلمه وانتاجه . ولا شك ايضا في ان هذه الرسالة جد مهمة لحركة المقاومة ، لانها تساعد ابطالها في تصوير آمالهم البطولية للجماهير ، مما يخلق التفاعل الكامل بينهم وبينها ، ومما يساعد على تحويل المقاومة التي لا تزال تمر في المراحل الاولى من العمل الفدائي الى ثورة شعبية عارمة ، هي الاساس في الانتقال الى المراحل التالية في معركة التحرير الطويلة والمريرة .

ثانيا : الدعوة الى توحيد أداة النضال بعد ان اصبح هذا التوحيد الضرورة التي لا بد منها للارتفاع الى مستوى المعركة ومجابهة العدو بكل ما تحت تصرفه من موارد وطاقات وقدرات . فلقد ادت نكسة الخامس من يونيو ، ووقوع أرض فلسطين بكاملها ، مع اجزاء عربية اخرى ، تحت وطأة الاحتلال الصهيوني ، الى ضرورة تغيير اساليب العمل القومي ومخططات هذا العمل ، بما يتلاءم مع متطلبات هذه الاوضاع الجديدة . فلم تعد الحرب التقليدية وارتباطاتها السياسية، المطمح النهائي ، ولا سيما لشعب فلسطين ، بل لا بد من ان تسبقها ، وترافقها ، صور اخرى من العمل العسكري والكفاح الشعبي ينزل في صفوف العدو ، كافة اشكال التدمير . وهنا لا بد ان تتركز رسالة الاديب في ابراز دور الشعب الفلسطيني في معركة تحرير وطنه ، لا سيما وان اعتماد هذا الشعب على نفسه وذاته ، اصبح ضرورة اكثر وضوحا من اي وقت مضى ، وان كنا لا نجيز مطلقا استبعاد البعد القومي لقضية فلسطين ودور العمل العربي فيها . ولكن ظروف الواقع العربي ، وضعت الشعب الفلسطيني في طليعة معركة وطنه وفي صميمها ، وجعلت منه الاصل في قضيته ، وهو اصل لا يمكن السماح لاية جهة بأن تتجاهله أو تنكره . وعلى الاديب والحالة هذه ان يدعو الى وحدة المقاتلين فوق أرضنا المحتلة ، لان هذه الوحدة هي الضمانة الوحيدة ، لاستمرار الكفاح الشعبي المسلح ، وتصاعده ووصوله الى جميع النتائج المرجوة من أية دعوة للوحدة الوطنية .

ثالثا : التصدي للحرب النفسية الضارية التي يشنها العدو علينا ، لاضعاف ثقتنا بانفسنا ، وايماننا بقدراتنا وطاقاتنا ، ومقاومة عمليات التشكيك الواعية واللاداعية التي تتعرض لها امتنا العربية في جدوى تصميمنا على المضي في طريق المعركة الى نهايتها الظافرة . ولا شك في ان على الاديب وهو يتصدى لاداء هذه الرسالة ، ان يشجب وان يستنكر اية محاولات انهزامية تدعو الى المساومات او التفريط في حق شعب فلسطين ، انطلاقا من منطق الحلول التوفيقية او التنازلات او التفاوض او الاعتراف بما يسمونه واقع اسرائيل . ولكن على الاديب وهو يؤدي هذه الرسالة ، ان يدعو الى التزام جانب الفكر العلمي السليم والدقيق في التخطيط للمعركة ، ورسم تقديراتها على اسس صالحة ، خالية من التهويش والمبالغة ، والغرور والافراط في الاعتداد بالنفس الى حد اهمال متطلبات هذه المعركة وشروطها الاساسية .

رابعا : تحديد العدو الذي تواجهه الامة العربية بصورة واضحة جلية ، وبيان الروابط العضوية والجذرية القائمة بين الاستعمار والصهيونية ، وعدم التركيز على عداء الصهيونية وحدها ، تجاهلا للعدو الاساسي الذي يقف وراء اسرائيل ، ويمدها بكل اسباب العون والنصرة والتاييد والدعم ، بعد ان افلح في اقامتها في قلب وطننا العربي ، لتكون الاداة المنفذة لاهدافه ومخططاته ، والقاعدة التي يعتمد عليها في حماية مصالحه وقواعده الاخرى ، والامتداد الطبيعي لنفوذه وسيطرته . وعلى الاديب في تحديده هذا ان يكون صادقا مع نفسه ، وان يحاول التمييز كل التمييز بين اعداء الامة العربية واصدقائها . واذا كان بعض هؤلاء الاصدقاء ، لم يصلوا بعد الى حد التاييد الكامل لجميع وجهات النظر العربية ، في تصفية الوجود العدواني المتمثل في اسرائيل ، فلا يجوز باي حال من الاحوال ، للاديب أن يضعهم في مرتبة واحدة مع اولئك الاعداء الذين خلقوا اسرائيل في قلب وطننا العربي ، والذين ما انفكوا منذ خلقها يعملون على تدعيمها وارساء قواعدها ،

وتفويتها وتسليحها، غير آبهين بنا او بمصيرنا ووجودنا. وعليه والحالة هذه ان يواصل الجهد ، في سبيل تحويل هؤلاء الاصدقاء عن بعض منطلقاتهم الفكرية في موضوع قضيتنا ، لانهم مؤهلون بحكم صداقتهم لنا ، وبحكم المبادىء التي يؤمنون بها ، وبحكم المصالح التي تشدهم الينا ، لتفهم قضيتنا كاملة ، والوقوف الى جانبنا في جميع اهدافنا وتطلعاتنا .

خامسا : عرض الصورة الصحيحة للقضية الفلسطينية ، بعيدا عن كل نزعات او حزازات او احقاد ، هناك كل ما يبرر وجودها ، اذا انساق الانسان وراء عواطفه ، انسياقا يجنبه جادة المنطق والصواب والرأي السديد . فعلى الاديب أن ينأى كل النأي في انتاجه ودعوته ، عن كل ما قد يفسر بانه اتجاه عنصري او طائفي . وعليه ان يصور المشكلة على انها نزاع بين شعب اغتصب منه وطنه ، وسلبت حقوقه وديارة ، وبين قوى عالمية ، تآمرت على هذا الاغتصاب وذلك السلب ، لتجعل من فلسطين بعد اقامة اسرائيل الغاصبة فيها ، الامتداد المصطنع للامبريالية العالمية . وعليه ان يوضح ان المعركة التي نخوضها ليست الا معركة تحررية ، من الاستعمار الصهيوني ، والتفرقة العنصرية ، والاستغلال الامبريالي ، وان هدفنا الاول والاخير منها ، تحرير الوطن ، واعادته الى اصحابه الشرعيين الذين لا يستطيع احد انكار حقهم في بلادهم . وهنا لا بد من النأي كل النأي عن كل دعوة تحمل طابع العداء لليهود كيهود ، او التهديد بقتلهم وابادتهم او قذفهم بالبحر . فليس ما يدفعنا الى نضالنا العادل والمشروع ، هو كرهنا لليهود ، او الرغبة في ابادتهم ، على الاطلاق ، اذ اننا لا نؤمن بالتمييز العنصري او التفرقة الدينية ، وانما ما يدفعنا هو الرغبة في تحرير وطننا من غاصبيه ، وازالة الكيان العنصري العدواني التوسعي ، المسمى باسرائيل ، لنقضي بذلك على العقيدة الصهيونية الرجعية والفاشية والعنصرية ، ولنسهم في حل المشكلة اليهودية في العالم ، بعد انقاذ اليهود من براثن الصهيونية وعقيدتها المناقضة للتقدم ، ودفعهم الى الولاء ، لبلادهم التي ينتمون اليها ، كمواطنين صالحين ، اسوة بغيرهم من ابنائها .

سادسا واخيرا : يتحتم على الاديب في رسالته ، ان يربط بين قضية فلسطين ، ومناهضة الصهيونية ، وبين قضايا التحرر من الاستعمار على الصعيد العالمي ، لان اسرائيل بوجودها تمثل صورة من ابشع صور الاستعمار الاستيطاني ولان الصهيونية تؤلف جزءا لا يتجزأ من الامبريالية العالمية . ولا شك في ان كل هزيمة مني بها الاستعمار في أي جزء من اجزاء العالم ، تمثل خطوة من الخطوات في طريق التحرر العالمي الشامل منه . ولا شك ايضا في ان نضالنا ضد الاستعمار الصهيوني والامبريالي ، يسهم اسهاما كبيرا في الحاق الهزيمة النهائية بالعدو الواحد ، ونحن في سيرنا على هذا الخط الواضح الجلي ، قادرون على استقطاب جميع الشعوب المحبة للحرية معنا في صراعنا مع اعدائنا .

***

هذه هي رسالة الاديب في مكافحة الصهيونية ، في نظري ، ولا اشك في انها رسالة قدسية ، لما تحمله من معان نبيلة سامية ، ولما تعنيه من توجيه قيادي لجماهير امتنا العربية ...

ومن حق الاديب على نفسه ، أن ينسجم مع رسالته ، وان يؤديها بامانة واخلاص ، ومن حق امته عليه ، ان يظل نبراسا يهديها سواء السبيل .

عاشت فلسطين عربية ، وعاشت جزءا من وطننا العربي الكبير ، وعشتم لها ، باقلامكم وضمائركم ، رسل خير وتوجيه ، ورموز نضال وفداء . والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

خيري حماد

اقتراح دولة فلسطين

وما دار حوله من مناقشات

بقلم المفكر العربي الكبير الاستاذ

احمد بهاء الدين

القضية الاولى التي تستأثر اليوم باهتمام القادة والسياسيين والمفكرين العرب . والاقتراح ، كما يقول المؤلف ، ليس أكثر من ((المطالبة بأن يعود شعب فلسطين ، بأهله وقدراته وأرضه ، الى الوجود والى مكان الطليعة في هذه القضية بالذات .)) ويضم الكتاب أهم المناقشات التي دارت حول الاقتراح وشارك فيها طائفة من كبار المفكرين العرب .

الثمن ٢٠٠ ق٠ ل

صدر حديثا